البنية الدالة في شعر أحمد مطر

أ.د محمد شاكر الربيعي
كلية التربية الاساسية جامعة بابل

الباحثة : الاء عهد عبدعمران
كلية التربية الاساسية/ جامعة بابل

البريد الإلكتروني Email: alaa.ahed.1989@gmail.com

الكلمات المفتاحية: البنية الدالة ، الفهم ، التفسير ، البنيات الملحة.

كيفية اقتباس البحث

الربيعي ، محمد شاكر ، الاء عهد عبدعمران، البنية الدالة في شعر أحمد مطر ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، كانون الثاني ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The function structure in the poetry of Ahmed Matar

Prof. Dr. Muhammad Shaker Al-Rubaie
College of Basic Education/University of Babylon

Researcher Alaa Ahed Abed Omran
College of Basic Education/University of Babylon

Keywords : infrastructure, understanding, interpretation, imperative structures..

How To Cite This Article
Al-Rubaie, Muhammad Shaker, Alaa Ahed Abed Omran, The function structure in the poetry of Ahmed Matar, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, January 2024,Volume:14,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

This research is interested in focusing on the basic structures that shaped Ahmed Matar's poetic speech, which is based on the concept of semantic structure, which is a concept that is considered one of the most important procedural concepts that form the theoretical basis for Lucian Goldman's theses on compositional structuralism. This concept is based on the central idea that literary works include semantic structures. Totality, as we find in any literary work a general idea that is constantly recurring whenever we move from one paragraph to another, and this structure varies from one literary work to another. Totality is considered one of the distinctive characteristics of the structures of literary works. Therefore, the literary phenomenon - from the perspective of compositional structuralism - must be studied in its comprehensiveness, as for every An element in the structure of the literary text and its assigned function. Therefore, neglecting any of these elements leads to breaking the unity of the literary text. This suggests to us - implicitly -

that the concept of function structure, as Goldman viewed it, seeks to create an internal unity between the components of the text. Goldman focused on Structure based on the functions it performs in a literary work. He pointed out how to discover the significant structure, from Goldman's point of view, the researcher must. In order to understand the work that he is about to study, he must adhere primarily to searching for the structure that almost includes the entirety of the text, based on a basic rule that specialists in literature rarely respect, which is that the researcher must encompass the entirety of the text, not add anything to it, and explain its composition. Deducing the significant structure in the literary work in general, and the novel in particular, can only be done by reading the text particles in light of the totality of the text itself, focusing on its essential functional significance in the world. Goldman left the field of searching for the significant structure in the novel work dependent on the critic's sensory abilities. The concept of the functional structure not only assumes the unity of the parts within the totality of the text and the internal relationship between the elements, but at the same time it assumes the transition between a static vision to a dynamic vision, that is, the unity of origin with function.

الملخص :

يهتم هذا البحث بالتركيز على البنيات الأساسية التي شكلت خطاب أحمد مطر الشعري والذي يعتمد على مفهوم البنية الدالة وهو مفهوم يعد من أهم المفاهيم الإجرائية التي تُشكل الأساس النظري لأطروحات لوسيان غولدمان في البنيوية التكوينية و يتأسس هذا المفهوم على فكرة محورية مفادها أنَّ الأعمال الأدبية تتضمن أبنية دلالية كلية حيث نجد في أي عمل أدبي فكرة عامة تتواتر باستمرار كلما انتقلنا من فقرة إلى أخرى وهذه البنية تختلف من عمل أدبي إلى آخر وتُعد الكلية من الخصائص المميزة لأبنية الأعمال الأدبية لذا فإنَّ الظاهرة الأدبية – من منظور البنيوية التكوينية – يجب أن تُدرس في شموليتها إذ لكل عنصر في بنية النص الأدبي وظيفته المنوطة به لذا فإن إهمال أي عنصر من هذه العناصر يؤدي إلى كسر وحدة النص الأدبي وهذا يوحي لنا – ضمنياً – أن مفهوم البنية الدالة كما نظر إليه غولدمان يسعى إلى خلق وحدة داخلية بين مكونات النص فقد ركز –غولدمان –على البنية انطلاقًا من الوظائف التي تؤديها في العمل الأدبي . وقد أشار إلى الكيفية التي يتوصل بها لاكتشاف البنية الدالة ، فعلى الباحث من وجهة نظر غولدمان . لكي يفهم العمل الذي هو بصدد دراسته أن يتقيد في المقام الأول بالبحث عن البنية التي تكاد تشمل كلية النص ، وذلك استنادا إلى قاعدة أساسية نادرًا ما

يحترمها المختصون في الأدب وهي أن على الباحث أن يحيط بمجمل النص وأن لا يضيف إليه أي شيء وأن يفسر تكوينه . فاستخلاص البنية الدالة في العمل الأدبي عامة والرواية خاصة ،لا يكون إلا عبر قراءة جزيئات النص في ضوء مجموع النص ذاته، مع التركيز على ماله دلالة وظيفية أساسية في العالم وقد ترك غولدمان مجال البحث عن البنية الدالة في العمل الروائي رهينا بقدرات الناقد الحسية . ومفهوم البنية الدالة لا يفترض فقط وحدة الأجزاء ضمن كلية النص والعلاقة الداخلية بين العناصر بل يفترض في الوقت نفسه الانتقال بين رؤية سكونية إلى رؤية دينامية أي وحدة النشأة مع الوظيفة .

المقدمة :

البنية الدالة هي عبارة عن مقولة ذهنية أو تصور فلسفي يتحكم في مجموع العمل الأدبي. وتتحدد من خلال التواتر الدلالي وتكرار بنيات ملحة على نسيج النص الإبداعي، وهي التي تشكل لحمته ومنظوره ونسقه الفكري. وتحمل بنى العالم الإبداعي دلالات وظيفية تعبر عن انسجام هذا العالم وتماسكه دلاليا وتصوريا في التعبير عن الطموحات الاجتماعية والسياسية والإيديولوجيا للجماعة. وعليه يمكن القول أنَّنا لسنا بإزاء بنية شكلية اعتباطية بل نحن أما بنية تحمل دلالة معينة تفسح المجال لبعض الأسئلة التي ممكن أنَّ يطرحها القارئ وهي : ما هو بالتحديد مفهوم البنية الدالة ؟ الجواب : يمكن القول أنَّ البنية الدالة هي عبارة عن مقولة ذهنية أو تصور فلسفي يتحكم في مجموع العمل الأدبي. وتتحدد من خلال التواتر الدلالي وتكرار البنيات الملحة على نسيج النص الإبداعي، وهي التي تشكل لحمته ومنظوره ونسقه الفكري. وتحمل بنى العالم الإبداعي دلالات وظيفية تعبر عن انسجام هذا العالم وتماسكه دلاليًا وتصوريًا في التعبير عن الطموحات الاجتماعية والسياسية والإيديولوجية للجماعة. ويحدد غولدمان الدور المزدوج للبنية الدالة بوصفه مفهومًا إجرائيًا بالأساس لذا تُعد البنية الدالة هي المقولة الرئيسية التي اعتمدها غولدمان في منهجه النقدي والتي تعتمد على عمليتين مهمتين وهما (الفهم والتفسير) لتحديد النسق العام الذي يتميز به النتاج الأدبي فمن خلال هاتين العمليتين تُكتشف البنية الدالة [١].

أي أنَّها في الأساس ترتكز على تحقيق هدفين : **الأول** يتعلق بفهم الأعمال الأدبية من حيث طبيعتها ثم الكشف عن دلالتها، وهذا الهدف يبدو أكثر ارتباطًا بعملية الفهم، أما **الثاني** فيتعلق بالحكم على القيم الفلسفية والأدبية والجمالية، والشعر في إطار التصور البنيوي التكويني الذي يحتوي على بنية دالة، تقابلها بنية فكرية خارجية هي بنية إحدى رؤى العالم لدى جماعة

بشرية معينة وهذه البنية الدالة لا يمكن إدراكها إلا حين تجاوز المظهر الخارجي للعمل الشعري، وقد يكون هذا المظهر ذا شكل رمزي أو تهكمي ساخر ، لكن دلالته العميقة قد تكشف عن بنية دالة لها علاقة مع أحد التصورات الموجودة عن الواقع، فإنه على مستوى المحتوى الأدبي تكون للمبدع حرية كاملة في التصرف والاستفادة من تجاربه الشخصية وذكائه لخلق عالم خيالي، وهذا العالم هو نفسه البنية السطحية حيث يجب تفكيكه بهدف الوصول إلى النظام الفكري الذي يحكمه، وهذا النظام هو البنية الدالة.

وإذا كانت المناهج السوسيولوجية التقليدية في دراستها للأدب لم تهتم ببنية العمل الأدبي و تركيزها على العلاقة القائمة بين مضمون العمل الأدبي ومضمون الوعي الجماعي ،فان منهج (غولدمان) ركَّز على البنية انطلاقًا من الوظائف التي تؤديها في العمل الأدبي . وأشار (غولدمان) إلى الكيفية التي يتوصل بها لاكتشاف البنية الدالة، فعلى الباحثة – في نظره – لكي تفهم المتن الشعري لأحمد مطر الذي يشكل محور دراستها عليها أن تتقيد في المقام الأول بالبحث عن البنية التي تكاد تشمل كلية النص، وذلك استنادا إلى قاعدة أساسية ،وهي أن على الباحث أن يحيط بمجمل النص وأن لا يضيف إليه أي شيئًا وأن يفسر تكوينه بهذا التصور لذا تعد البنية الدالة هي الأداة الإجرائية التي عن طريقها يتم ((اكتشاف الوحدة الداخلية للنص ، و توجه الباحث إلى تعميق فهمه لتمثل العلاقات الأساسية في النص التي يجب أن تتصف بالشمول فلا يفهم الجزء مالم نفهم الكل فالجزء مرتبط بالكل و لا يفهم إلَّا في إطار فهم الكل)) (٣٢)

وفي الوقت نفسه ينبغي أن تنظر إلى أجزائه و القصد أن غولدمان يلزم الباحث أن ينطلق من النص ولا شيء غير النص و التقيد به للكشف عن البنية الدالة فيقول ينبغي ((رصد النص ككل و عدم إضافة أي شيء)) (٤) أي أنه لا توجد مرجعية ثانية للنص ممكن أن نرجع إليها النص للوصول إلى المعنى الحقيقي وبالتالي ستكون لكل قارئ معنى خاص به و هذا دأب المناهج النصية و ما بعدها .

وبهذا يكون عمل الناقد ((متجهًا بالتناوب من الأجزاء إلى الكل ، ومن الكل إلى الأجزاء ، و متقدمًا في معرفة هذه الأجزاء و ذاك الكل في آن معاً)) (٥)

فضلاً عن ذلك يشدد غولدمان في الوقت نفسه على عدم الاقتصار على ، لغة النص فحسب بل لابدَّ من أن تلحقها عملية أخرى أوسع و أشمل وهي (عملية التفسير) ليربط العمل الأدبي بالعالم الخارجي؛ لأنَّ البنية وفق المنهج البنيوي التكويني لا تفهم بحد ذاتها بعيدة عن حدود الزمان و المكان و إنما تفهم من خلال تفاعلها وتحركها داخل وضع معين . (٦)

فمثلا دراسة التفاحة بحد ذاتها لا تكفي ولا تعطي صورة واضحة و كاملة ما لم نرجع إلى الظروف التي ساعدت هذه التفاحة ، و إلى الشجرة الأصلية التي أنتجتها كذلك العمل الأدبي لا يمكن عزله عن الظروف الاجتماعية و الثقافية والتاريخية المحيطة به فكل مسألة ينبغي فهمها من خلال الظروف المحيطة بها (٧)

لذلك يقول غولدمان : ((إذا أردتُ أن أشرحَ خاطرة لباسكال توجَّب عليَّ الرجوع إلى جميع خواطره و فهمها و شرح نشأتها بالرجوع إلى الجنسانية . ولفهم الجنسانية ينبغي ربطها بطبقة الرداء و هكذا)) (٨)

إذاً فالبنية الدالة تتكون داخل النص الأدبي بفضل ظروف خاصة تشكّلت وأنتجت هذه البنية فلو أتى نابليون مثلاً : في حقبة أخرى من تاريخ فرنسا لما تمكَّن أن يصبح رمزاً أساسياً من رموز الثورة الفرنسية البرجوازية بالرغم من مزاياه و امكانياته الشخصية . و هذا يرجع حسب وجهة نظر غولدمان إلى التطابق الممكن بين الإمكانيات الانسانية الفردية و بين الوضع التاريخي هي ما نسميه بالعبقرية، التي لابد أن تشكل الرؤية و على هذا الأساس ينبغي أن نقيس بالنسبة للموضوعات الأدبية والفلسفية (٩)

والمعنى المقصود من هذا هو إن هذه البنية لا تتجلى في فكر جميع أفراد الجماعة أو الطبقة و إنما فقط في وعيها ككل أو في وعي ممثلها فحينما نقرأ نصَّاً شعرياً لأحمد مطر وكيف تشكّل بهذه الشاكلة تجعلنا نؤمن بأن عبقرية المبدع و الظروف المحيطة به في ذلك العصر هي من هيأت لهذا النص أن يخرج بهذه الرؤية المتمردة ويحتضن هذه البنية دون سواها.

وهذا راجع إلى قدرة المبدع في التعبير واختيار أسلوب دون غيره ؛ فالبنية الدالة عند غولدمان ترتبط بالكلام لا باللغة؛ لأنَّ اللغة عنده ليست شاملة و ذات طابع غير معبِّر (غير دال) في حين أنَّ الكلام ذو طابع معبر و دال؛ فاللغة لا تستطيع أن تكون متشائمة أو متفاعلة؛لأنه يجب أن تتمكَّن من التعبير عن الفرح والغضب واليأس وعلى العكس من ذلك فإنَّ كلَّ كلامٍ تطبّع بطابع المجتمع يصبح حتماً مُعبِّراً في مجمله و غالباً ما يكون الخطاب يحمل معاني عدة. (١٠)

إذاً فعلم اللغة هو دراسة لأنظمة الوسائل التي تتيح لنا التعبير عن المعاني وليس دراسة هذه المعاني نفسها كما أنَّ الأعمال الأدبية هي أعمال ممتازة للكلام و ليست بنى لغوية دلالية و لا توجد أية دراسة مقتبسة من البنيوية اللغوية تستطيع أن تسلط الأضواء على بنيتها الدلالية التي تجعل النصوص الأدبية تتعارض مع النظام الشامل للغة (١١)

ومن هنا فإن الدراسات البنيوية لا تستطيع أن تعبِّر عن المعنى الاجتماعي للنصوص الأدبية لأنها تُركز على اللغة فقط ، أما الكلام فهو رسالة ذات معنى ثابت معبر عن رؤية العالم و ليست اللغة فيه إلا وسيلة أو أداة للفكر لذلك فإن دراستها وحدها لا تؤدي إلى دراسة المعاني و هذا يعني أن الأعمال الأدبية هي من صنع الكلام و ليست من صنع البنى الخاصة باللغة وبذلك يصعب على البنيوية الشكلية أن تطور بنية دلالية و من أجل ذلك يقيم غولدمان علاقة مستمرة بين البنية الدلالية وبين رؤية العالم وفقاً لمنظور الطبقات الاجتماعية في حقبة تاريخية معينة[١٢]

نستنتج من هذا أنَّ البنية الدالة هي الدراسة الداخلية للنص الأدبي وهذه الدراسة تمثل مرحلة " الفهم " و من ثم ربط هذه الدراسة اللغوية للنص بمرجعياتها الثقافية وهي عملية أوسع وأشمل من عملية الفهم وهي عملية " التفسير" ومن هذا يتبين الفرق بين البنيوية في صيغتها الصرفة والبنيوية في صيغتها التكوينية .

وفي ضوء هذا المعنى للبنية الدلالية و آلية استخراجها فإننا سنعمد إلى قراءة منجز أحمد مطر الشعري و كأنها قصيدة واحدة تحكمها بنية دالة و هنا سيكون واجبنا هو كشف واستخراج هذه البنية لربطها بعملية أكثر شمولاً منها وهي (التفسير) .

البنيات المُلحة

انطلاقاً من الحاح (غولدمان) على الانسجام بين البنيات، والذي يمكن أن يجد تعبيره عن طريق مضامين خيالية تخالف أشد الاختلاف المحتوى الواقعي والحقيقي للوعي الجمعي وهذا التناسق بين البنيات يخالف التصور السوسيولوجي الكلاسيكي الذي يقيم علاقة انعكاس ميكانيكي بين الوعي الجمعي والعمل الأدبي ، ولهذا سوف تنطلق الباحثة من فكرة ((إن وحدة العمل الأدبي و تماسكه يظهران في بنية دالة و التي من خلالها نفهم النسق العام الذي يحكم العملية الإبداعية)) [١٣]

وهذه البنية هي عبارة عن بناء متكامل ومنسجم يحتوي على عدة أبنية جزئية تقوم بينها علاقات محددة تحدد وظيفته و تبين مكانه ضمن أبنية الوجود الأخرى مثل الإنسان فإنه يمكن تحديد و معرفة وظائفه الحقيقية و كشف علاقاته الداخلية التي تربط بين أبنيته ومن ثَمَّ يتم تفسيره تفسيراً صحيحاً و التحكم في جزئيات البناء و ترتيب علاقاته [١٤]

لذلك اقتضى المنهج الذي نحن بصدد دراسته إلى كشف البنية المكونة في داخل النص الأدبي و الكشف عن جزيئاتها وربما يسأل القارئ لماذا هي ملحة ؟ هل لأهميتها أم لجوهرها أم لرؤية الشاعر أنها تمثل معطى ما ؟ وهل هي مستمرة في طول الأعمال الشعرية أم هي متغيرة

وغير ثابتة بتقدم التجربة الشعرية ؟ وسنستقرئ جواب كل هذه الأسئلة ضمناً ونحن نتابع تجلي هذا البنيات في منجز الشاعر الشعري؛ لفهم دلالاتها و لكي نكشف عن النسق العام لا بدَّ من الكشف عن البنيات المُلحة و هي البنيات المتكررة والتي يلح المبدع في الطلب عليها و عند دراستنا لنص أحمد مطر الشعري وجدنا البنية المُلحة هي" **بنية رافضة للواقع** " وثائرة عليه بصورةٍ عامة و قد تجلّت في خطابه الشعري السياسي الثائر والغاضب على السلطة و هذه البنية الداخلية في نصوصه الأدبية كان لها تأثير كبير في تشكيل البنية الاجتماعية وقد عمدت الباحثة إلى تقسيم البنية المُلحة إلى " بنيات مركزية وبنيات هامشية " لكون الدراسة سوف تنطلق من هذا الاتجاه لكشف البنية حتى يتيسر لنا فهم هذه النصوص الإبداعية .

(أ) : البنية المركزية :

البنية المركزية : هي البنية الأكثر وروداً وتكراراً في النصوص الشعرية والتي ركَّز عليها الشاعر وكررها بصورة مباشرة و واضحة من الفاظها و دلالاتها . لذلك سيكون انطلاقنا من النص الشعري و تحديداً من البنيات التي تكررت و جاءت بكثرة في خطاب أحمد مطر الشعري وهذه البنية هي الوعي الجماعي عند الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشاعر و أولى هذه البنى هي :

١.البنية النقدية الرافضة و الساخرة للواقع :

يبدو ان (الرفض والسخرية) بكل معطياتهما الرمزية هما إحدى أفضل أدوات (أحمد مطر) اللفظية والاسلوبية في تحقيق ما يصبو اليه في هذا الشأن أو ذاك ، لتضمنها السخرية و التكثيف والايجاز والتلميح تارة ، وتعدد دلالاتها ومعانيها ومراميها من سياق إلى آخر تارة ثانية ، وتحكَّم الشاعر في بلورته كيفما يشاء تارة ثالثة ، وغالبا ما يبدو النقد الساخر متفقًا عليه في الوعي الجمعي بين الشاعر ومتلقيه وذلك ما يبعد استغلاقه أو غموضه من جهة وتحقيقه التنوير والمتعة والفائدة من جهة أخرى إذ لا يكاد يخلو شعر شاعر منه ماضيًا وحاضرًا يستحضره الشاعر في هذا الباعث على النظم ، و هذا النوع من النقد يتميز بطاقة إيحائية كبيرة تتساوق مع هواجسه ومشاعره النفسية المتباينة من موقف لآخر في لوحات شعرية ذات طابع حسي تصويري عاطفي انفعالي ثوري تتعانق فيه الصورة مع دواخله وتتكامل جزئياتها في إيقاع منغم حيث نجد أن نقده اللاذع يحمل كل خساراته وفواجعه ومآسي وطنه ومحنة السلطة والقيود المفروضة على مجتمعه حيث تنتشر السجون والمعتقلات في كل مكان وتتصادر الحريات في البلاد العربية جميعها .

وبعد القراءة الفاحصة التي قمنا بها لمنجز أحمد مطر الشعري وجدنا أن النصوص الإبداعية تدلُّ على بنية الرفض الساخر والغاضب على السلطة ؛ بسبب قسوة الحياة والظروف القاهرة التي كان يعيشها الشاعر و أبناء شعبه، الأمر الذي جعله يلقي بنفسه في دائرة الخطر والمواجهة وهذا الرفض للواقع بكل معطياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية و هذا يرجع للظروف القاسية التي يعيشها الفرد من ظلم وقهر وتهميش وغيرها من الأمور التي تسهم في تهيئة الفرد ليكون متمرداً ثائراً ورافضاً للواقع و المجتمع .وعدم تقبل الواقع والانسجام معه ليس بظاهرة حديثة بل لها جذور منذ العصر الجاهلي لكن الحقبة التي عاشها الشاعر في السبعينات إلى الثمانينات والتسعينيات تميزت بقوة توجه الشعر نحو السياسة خاصة في البلدان التي عانت وتجرعت مرارة الظلم والقهر والفقر سواء كان من قبل الاستعمار أو القادة والحكام ؛ للتعبير عن المجتمع بكل طبقاته .

وفي هذه الفترة المعنيَّة برز الشاعر أحمد مطر وعلا فيها صوته الجريء والثائر على السلاطين والحكام وقد كرَّس شعره لخدمة أبناء شعبه و أبناء أمته العربية . ((متخذاً منه وسيلة لجلد السلاطين والحكام والثورة في وجوههم فالسلاطين بكل ما يمثلونه من جمود و بطش كانوا هدفاً من أهداف ثورة التمرد فكلما لجُّوا في عبثيهم و انكفائهم انبرى لهم شعر التمرد يفضح دور الخائن ويُدين سلوكهم المُلتاث ويجيّش مشاعر الجماهير في تجاه الانقضاض عليهم)) [١٥] وبهذا يتبين أنَّ للشعر وظيفة اجتماعية و دور مهم و مشارك لصنع الحياة .

وقد عبَّر أحمد مطر عن رفضه و ثورته بأسلوب خاص ميزه عن غيره وهو الأسلوب الساخر اللاذع والطاعن بالحكام والقادة المتجبرين فالسخرية ((هي طريقة تعبيرية توسل بها الشعراء لنقد الأوضاع السياسية و الاجتماعية والسير الفردية والنيل منها)) [١٦] فقد لجأ الشاعر إلى أسلوب السخرية ليكشف لنا كل عيوب المجتمع وما فيها من فساد وانتهاك لحقوق الإنسان على أيدي الحكام العرب و المحتلين الأجانب ومن ثم محاولة لتغيير هذا الواقع وتغييره نحو الأفضل.

وبهذا الأسلوب استطاع الشاعر من تسليط الضوء على المناطق المعتمة التي يعاني منها المجتمع فيصرخ بأعلى صوته من خلال بنيات أساسية متمركزة داخل المنظومة النصية وقد جاءت على شكل : بنيات سياسية وبنيات اجتماعية وبنيات دينية معلناً بذلك عن رؤيته و ثورته بوجه الحاكم والسلطان الذي يعد نفسه إلهاً فهو لا يساوي شيئاً في نظره ففي هذه القصيدة " **مساءلة** " حيث يقول الشاعر:

قلتُ للحاكمِ : هل أنتَ الذي أنجبتنا؟

قال : لا لست أنا

قلتُ : هل صيّرَكَ اللهُ إلهاً فَوقَنا ؟

قالَ : حاشا ربنا .

قلتُ : هل نحنُ طلبنا منك أن تحكمنا ؟

قالَ : كلاَّ

قلتُ : هل كان لنا عشرةُ أوطانٍ

وفيها وطنٌ مستعملٌ زادَ على حاجتنا

فوهبنا لك هذا الوطنَا ؟

قالَ : لمْ يحدثْ ولا أظنُّ هذا ممكنا .

قلتُ : هل أقرضتنا شيئاً

على أن تخسفَ الأرضَ بنا

إنْ لمْ نسدِّد ديْنَنا ؟

قالَ : كلاَّ

قلتُ : ما دمتَ ، إذن ، لستَ إلهاً

أو أباً

أو حاكماً منتخباً

أو مالكاً

أو دائناً

فلماذا لمْ تزلْ ، يا ابن الكذا ، تركبُنا

وانتهى الحلم هنا .

أيقظتني طرقاتٌ فوق بابي :

افتح البابَ لنا يا ابن الزنى .

افتح الباب لنا

إنَّ في بيتكَ حلماً خائنا . (١٧)

سيطرت البنية السياسية الثائرة على النسق الشعري للشاعر وتجلت في استعمال اسلوب الاستفهام المتكرر **{ هل أنت الذي انجبتنا ؟ هل صيَّرك اللهُ إلهاً فوقنا ؟ هل نحن طلبنا منك أن تحكمنا ؟ }** فكل ما سبق بنية حوارية مع الحاكم و المحكوم على لسان الشاعر و هذه الأسئلة الحجاجية التي تنبض بها القصيدة تثبت أحقية الشاعر و طروحاته في نقض الحكام وهذه

التساؤلات هي في الحقيقة تساؤلات الطبقة التي ينتمي إليها الشاعر فعبَّر عنهم بالاستنكار والسخرية و التعجب فالشعب في نظر الشاعر مثقل يعاني الظلم والحرمان والفقر بينما يعيش الحاكم و حاشيته في ترف وبذخ فيبدو موقفاً مثيراً للاستفهام والاستغراب فيصرخ الشاعر معبراً عن مرارة الواقع ففي كل استفهام له دلالة و لم تأتي هكذا بل لتكشف و تفجر الواقع الغريب الذي يحيط به و تعيد بناءه من جديد .

وكثيراً ما يلجأ الشاعر إلى أسلوب (الكاريكاتير) بطريقةٍ قائمة على المفارقة التصويرية كتصويره الساخر لأهل الفساد الذين يدَّعون الطهارة والقدّاسة وهم بعيدون كل البعد عنها من ذلك نرى في قصيدة " **خطاب تاريخي** " يقول :

رأيتُ جرذاً

يخطبُ اليومَ عن النظافةْ

وينذرُ الأوساخَ بالعقابْ

وحولَهُ

يصفّقُ الذبابْ ! [١٨]

لقد عبّرت هذه الأبيات عن بنية السخرية و الرفض للواقع فالشاعر يعمد إلى رسم لوحات كاريكاتورية ممكن أن تكون مقاطع مصورة ويركز فيها على اسلوبي (الحوار والحكاية) فيصوَّر من يخطب عن النظافة كان كالجرذ من القذارة و الدناءة وهذه هي صورة الحاكم الطاغي كما وصف حاشيته و مؤيديه بالذباب التي تصفق له و تؤيده على الظلم فهم كالهمج الرعاع لا يفقهون شيئاً لا عقل لهم فهم يصفقون لكل من هبَّ و دبَّ ولكل قادم و ذاهب و هذا ما أثار اشمئزاز الشاعر والطبقة التي ينتمي إليها فعبَّر بهذه البنية النصية التي تُفضي إلى التقزز والقرف والممل من الواقع السياسي و الاجتماعي و الفكري .

(ب) البنيات الهامشية :

هي الدلالات الأقل وروداً وتكراراً في خطاب الشاعر و أقل تمركزاً وغالباً ما تكون غير واضحة وغير مباشرة بعكس البنيات المركزية التي هي دائماً واضحة ومباشرة.

و تُعرف بأنها ((تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد و تجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم فالمتكلم ينطق باللفظة أمام السامع محاولاً بهذا أن يوصل إلى ذهن السامع دلالاتها فتبعث تلك اللفظة في ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها السامع من تجاربه السابقة)) [١]

[١] دلالات الالفاظ : ابراهيم انيس : ١٠٧

فكل فرد يفسر دلالة الألفاظ حسب ما مرَّ به من تجارب فأصحاب المزاج المرح حينما يسمعون لفظة " الموت " لا يرتعبون ولا يفزعون بينما المتشائم عند سماعه لهذه اللفظة يرتعب وقد يتصور ملك الموت ويتصور القبر كل ذلك في صورة بشعة ومخيفة بناءً على تجاربه السابقة التي مرَّت به لذلك اختلفت الدلالة الهامشية باختلاف الناس وعقولهم وتجاربهم فعندما تجمع الدلالة المركزية بين الناس و تساعد على تكوين المجتمع وتعاونه وقضاء مصالحه بينما الدلالة الهامشية تعمل على خلق خلاف ونزاع بين أفراد المجتمع لذلك يعتمد الناس في حياتهم العامة على الدلالات المركزية ويكتفون بها [٢]

و من خلال هذا الطرح للبنيات ينبغي تعيين البنيات الهامشية في منجز أحمد مطر الشعري بوصفها بنيات أقل تكراراً والحاحاً لكنها استطاعت أن تضفي المعاني الجمالية التي تكشف عن موهبة الشاعر وعبقريته . لذلك ترى الباحثة أولى هذه البنى هي :

١-البنية الضدية :

يعرف التضاد في اللغة وقد جاء في لسان العرب ((الضد : هو كل شيء ضاد ، شيئاً ليغلبه ، فالسواد ضد البياض ، والرجاء ضد اليأس ، والموت ضد الحياة ، والليل ضد النهار ، إذا جاء هذا ذهب ذاك)) [٣]

وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ((ويكونون عليهم ضِدّا))[٤] أما اصطلاحاً فقد عرَّفه علماء اللغة المحدثون بأنه ((كلمتان تختلفان نطقا ، ويتضادان معنى كالقصير في مقابل الطويل والحسن في مقابل القبيح والذكر مقابل الأنثى ...)) [٥]

ويمكن القول أن التضاد هو الجمع بين الشيء وضده فمثلاً إذا قلنا الليل فضده النهار والموت ضده الحياة وهكذا أي أنه النقيض . وقد رأت الباحثة أنَّ الشاعر قد استعمل هذا الأسلوب لفضح الواقع السياسي المتردي و ما عاناه الشعب من ظلم و فقر وجوع وفي قصيدة " **شؤون داخلية** " حيث يقول الشاعر :

وطني ثوبٌ مُرَقَّعْ
كُلّ جزءٍ فيهِ مصنوعٌ بِمصنعْ
وعلى الثوبِ نقوشٌ دَمويّةْ
فرّقَتْ أشكالَها الأهواءُ

---

[٢] ينظر : دلالات الالفاظ : ابراهيم انيس : ١٠٨
[٣] لسان العرب : ابن منظور ، مج ٤ ، ص : ١١٣
[٤] سورة مريم : آية ٨٢
[٥] في علم الدلالة : محمد سعيد محمد ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص : ١٥٢

لكنْ

وحّدتْ ما بينها نفسُ الهَويةْ

عِفةٌ واسعةٌ تشقى

وعِهْرٌ يتمتع [٦]

نلاحظ الاثر الذي تتركه الصورة الاستعارية المتميز المتمثلة (وطني ثوب مرقع) لتقوم المفارقة الصدرية على تصور الاقتران المفاجئ (الثوب المرقع) العنصر المادي ب (الوطن) العنصر المعنوي اذا تأملنا اشتراكهما بصفة التمزق والتجزئة فالتضاد الذي استعمله الشاعر جاء لفضح وكشف الحكام وهي { فرقت – وحدت و عفة – عهر } حيث وضَّح واقع الحياة وقد أكدت هذه البنية عن وجود طبقتين تتصارعان وهي طبقة الشعب الظلوم وهي طبقة عفيفة تبذل جهدها في السبيل العيش والحصول على أبسط حقوقها وطبقة القادة والحكام السياسيين و هي طبقة عاهرة تستنزف قوت الشعب وتنهب خيراته في سبيل رفاهيتها واستطاع الشاعر من التعبير عن هذه الفئة المظلومة و الدفاع عنها من خلال استعمال تلك الضدية وجعلها نسقاً داخل تركيته الشعرية فتجلت بوصفها البنية دلالية .

الخاتمة :

وفي الختام هنالك مجموعة من النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها عن طريق هذا البحث:

١ – أنَّ البنية الدالة هي عبارة عن مقولة ذهنية أو تصور فلسفي يتحكم في مجموع العمل الأدبي. وتتحدد من خلال التواتر الدلالي وتكرار البنيات الملحة على نسيج النص الإبداعي، وهي التي تشكل لحمته ومنظوره ونسقه الفكري.

٢ – ينبغيعلى الباحث أن يحيط بمجمل النص وأن لا يضيف إليه أي شيئًا وأن يفسر تكوينه بهذا التصور ولا توجد مرجعية ثانية للنص ممكن أن نرجع إليها النص للوصول إلى المعنى الحقيقي وبالتالي ستكون لكل قارئ معنى خاص به و هذا دأب المناهج النصية و ما بعدها .

٣ – البنيات الهامشية هي الأقل وروداً وتكراراً في خطاب الشاعر و أقل تمركزاً وغالباً ما تكون غير واضحة وغير مباشرة بعكس البنيات المركزية التي هي دائماً واضحة ومباشرة.

٤ – نلاحظ من خلال قراءتنا لنص أحمد مطر الشعري أن البنية المُلحة هي" **بنية رافضة للواقع** " وثائرة عليه بصورةٍ عامة و قد تجلّت في خطابه الشعري السياسي الثائر والغاضب على

[٦] الأعمال الشعرية الكاملة : ١٦٥

السلطة و هذه البنية الداخلية في نصوصه الأدبية كان لها تأثير كبير في تشكيل البنية الاجتماعية .

٥ – يبدو ان (الرفض والسخرية) بكل معطياتهما الرمزية هما إحدى أفضل أدوات (أحمد مطر) اللفظية والاسلوبية في تحقيق ما يصبو اليه في هذا الشأن أو ذاك .

الهوامش

(١) ينظر: مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية :سعيدي عادل ، بختي عبد القادر، مجلة آفاق ، عدد ٤ ، المجلد ١١ ، ٢٠١٩ ، ص : ٥٠٧

(٣) ينظر : في البنية التركيبية دراسة في منهج لوسيان غولدمان ، جمال شحيد ، دار ابن الرشد للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٢ : ٨١

(٤) العلوم الانسانية و الفلسفة ، لوسيان غولدمان ، ترجمة : يوسف الأنطاكي ، مراجعة : محمد برادة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٦ : ١٥١

(٥) الإله الخفي ، لوسيان غولدمان: ترجمة د. زبيدة القاضي، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، ٢٠١٠ . : ١٥٥

(٦) ينظر : تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية ، محمد عزام ،منشورات اتحاد العرب، ٢٠٠٣ : ٢٤٨

(٧) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٨

(٨) المصدر نفسه : ٢٤٨

(٩) ينظر : في البنيوية التركيبية ، جمال شحيد ، دار ابن الرشد للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٢: ٨١

(١٠) ينظر : في البنيوية التركيبية: ٨٢

(١١) ينظر :المصدر نفسه : ٨٢

(١٢) ينظر : تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية: ٢٤٩

(١٣) من البنية إلى السياق دراسات في سوسيولوجيا النص الروائي د. عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة، : ٥١

(١٤) ينظر : المذاهب الفلسفية المعاصرة : سماح رافع محمد ، مكتبة مدبولي ، ط ١ ، ١٩٧٣ ، ص : ١٣٥ – ١٣٦

(١٥) ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر : محمد أحمد العزب اطروحة دكتوراه، جامعة الازهر، : ٢٤٦

(١٦) اسلوب شعر أحمد مطر السياسي : مجلة كلية التربية الاساسية – جامعة بابل – العدد ٢١ – ٢٠١٥م ، ص : ٧

(١٧) الأعمال الشعرية الكاملة ، أحمد مطر ، مؤمن المحمدي ، مكتبة البواب ،ط ١ ، ٢٠١٤ : ٢٤٦

(١٨) الأعمال الشعرية الكاملة : ٥٤٠

المصادر :

1-اسلوب شعر أحمد مطر السياسي رؤية نقدية، بحث، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية الانسانية – جامعة بابل – العدد ٢١ – ٢٠١٥م

2-الأعمال الشعرية الكاملة ، أحمد مطر ، مؤمن المحمدي ، مكتبة البواب ،ط ١ ، ٢٠١٤ .

3-الإله الخفي، لوسيان غولدمان: ترجمة د. زبيدة القاضي، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، ٢٠١٠ .

4-تحليل الخطاب الادبي، محمد عزام، منشورات اتحاد العرب، ٢٠٠٣

5-الرفض في الشعر العربي المعاصر، سعيدي محمد، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد ٧، ٢٠٠٨

6-ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر: محمد أحمد العزب، اطروحة دكتوراه، جامعة الازهر

7-العلوم الانسانية والفلسفة، لوسيان غولدمان ، ترجمة : يوسف الأنطاكي ، مراجعة : محمد برادة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٦

8-المذاهب الفلسفية المعاصرة: سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، ط ١، ١٩٧٣

9-مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية : سعيدي عادل ، بختي عبد القادر، مجلة آفاق ، عدد ٤ ، المجلد ١١ ، ٢٠١٩

10-من البنية إلى السياق دراسات في سوسيولوجيا النص الروائي، د. عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة.

Sources

1-The style of Ahmed Matar's political poetry, a critical vision, research, Journal of the College of Basic Education for Human Educational Sciences - Babylon University - Issue ٢١- ٢٠١٥

2. The Complete Poetic Works, Ahmed Matar, Moamen Al-Mohammadi, Al-Bawab Library, ١st Edition, ٢٠١٤.

3. The Invisible God, Lucien Goldman: Translated by Dr. Zubaydah Al-Qadi, The Syrian General Book Organization, Damascus, ٢٠١٠.

4. Analysis of Literary Discourse, Muhammad Azzam, Union of Arab Publications, ٢٠٠٣

5. Rejection in Contemporary Arabic Poetry, Saidi Muhammad, Athar, Journal of Arts and Languages, Kasdi Merbah University of Ouargla, Issue ٧, ٢٠٠٨

6. Phenomena of rebellion in contemporary Arabic poetry: Muhammad Ahmad Al-Azab, PhD thesis, Al-Azhar University

7. Humanities and Philosophy, Lucien Goldman, translated by: Youssef Al-Antaki, revised by: Muhammad Barada, The Supreme Council of Culture, ١٩٩٦

8. Contemporary Philosophical Doctrines: Samah Rafea Muhammad, Madbouly Library, I ١, ١٩٧٣

9- Lucien Goldman's Formative Structural Foundations: Saidi Adel, Bakhti Abdel Qader, Afaq Magazine, No. ٤, Volume ١١, ٢٠١٩
10-From Structure to Context Studies in the Sociology of the Narrative Text, d. Abdel Wahab Shaalan, Library of Arts, Cairo